فقال واﷲ إن هذا لهو اللؤم تأكلون وأهل الحي حالهم مثل حالكم ثم أتى الحي بيتا بيتا يقول لهم انهضوا بالنار فاجتمعوا حول الفرس وتقنع حاتم بكسائه وجلس ناحية فواﷲ ما أصبحوا وعلى وجه الأرض منها قليل ولا كثير إلا العظم والحافر ولا واﷲ ما ذاقها حاتم وإنه لأشدهم جوعا وأخباره كثيرة مشهورة ومن شعره .

(أماوى إن المال غاد ورائح ... ويبقي من المال الأحاديث والذكر) وقد علم الأقوام لو أن حاتما ... أراد ثراء المال كان له وفر) .

وأغار قوم على طيء فركب حاتم فرسه وأخذ رمحه ونادى في جيشه وأهل عشيرته ولقي القوم فهزمهم وتبعهم فقال له كبيرهم يا حاتم هب لى رمحك فرمى به إليه فقيل لحاتم عرضت نفسك للهلاك ولو عطف عليك لقتلك فقال قد علمت ذلك ولكن ما جواب من يقول هب لي ولما مات عظم على طيء موته فادعى أخوه أنه يخلفه فقالت له أمة هيهات شتان واﷲ ما بين خلقتيكما وضعته فبقي واﷲ سبعة أيام لا يرضع حتى ألقمت إحدى ثديي طفلا من الجيران وكنت أنت ترضع ثديا ويدك على الآخر فأني لك ذلك قال الشاعر .

(يعيش الندى ما عاش حاتم طيء ... وإن مات قامت للسخاء مآتم) .

وكانت العرب تسمي الكلب داعي الضمير ومتمم النعم ومشيد الذكر لما يجلب من الأضياف بنباحة والضمير الغريب وكانوا إذا اشتد البرد وهبت الرياح ولم تشب النيران فرقوا الكلاب حوالي الحي وربطوها إلى العمد لتستوحش فتنبح فتهتدبالضلال وتأتي الأضياف على نباحها والحكايات في ذكر الأجواد والكرماء والأسخياء وأهل المعروف وما كانوا عليه من السخاء والكرم أكثر من أن تحصر وأشهر من من أن تذكر ففي مثل هذه المناقب فليتنافس المتنافسون ولمثلها فليعمل العاملون فإن فيها عز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت وخلود جميل الذكر فإنا لم نجد شيئا يبقي على ممر الدهر إلا الذكر حسنا كان أو قبيحا وقد قال الشاعر